

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

إسهابُ الحوار في معتقدِ المحققِ الاصفهاني  
لقد استنتاجَ المحققُ الاصفهانيُّ ثلثَ نتائجٍ، وَ طمسَ بعضَ الأوهامِ قائلًا:

1. وَ ممَّا ذكرنا في تحقيقِ حقيقةِ الإنشاءِ تعلمَ أنَّ تقابلَ الإنشاءِ وَ الإخبارِ ليس تقابلَ مفادِ كان التامةَ وَ مفادِ كان الناقصةِ (كما زعمه الآخوند بـأنَّ الإنشاءَ هو ثبوتُ أصلِ الشيءِ بنحوِ كان التامةِ وَ الإخبارَ هو ثبوتُ شيءٍ لشيءٍ بنحوِ كان الناقصة) نظراً إلى أنَّ الإنشاءَ إثباتُ المعنى في نفسِ الأمرِ (واللفظُ نازلٌ منزلةِ المعنى فحسب) وَ الإخبارُ ثبوتُ شيءٍ لشيءٍ تقريراً وَ حكايةً، وَ ذلك لأنَّ طبعَ الإنشاءِ كما عرفت لا يزيدُ على وجودِ المعنى تنزيلاً بوجودِه اللغويِّ، وَ هو قدرُ جامعِ بينِ جميعِ مواردِ الاستعمالِ فإنَّ الفائقُ "بعث" إخباراً، أيضاً يوجدُ معنى للفظ بوجودِه العَرَضيِّ اللغويِّ، وَ الحكايةُ غيرُ متقومةٍ بالمستعملِ فيه بل خارجةٌ عنه فهي (الحكاية) من شئونِ الاستعمالِ،

بل الفرقُ أنهما: 1. متقابلان بـتقابلِ العدمِ وَ الملكةِ تارةً (لو قصدَ المتكلِّمُ إنشاءَ النسبةِ الإيقاعيةِ من بعثٍ فهو نظيرُ فعل) 2. وَ بـتقابلِ السلبِ وَ الإيجابِ أخرى (لو قصدَ الحكايةَ من بعثٍ) فمثلُ "بعث" وَ أشباهُه من الجملِ المشتركةِ بينَ الإنشاءِ وَ الإخبارِ يتقابلان بـتقابلِ العدمِ وَ الملكةِ لأنَّ المعنى الذي يوجدُ بـوجودِ التنزيليِّ اللغويِّ قابلاً لأنَّ يحكي به عن ثبوته في موطنِه فـعدمُ الحكايةِ وَ التمْحُضُ فيما يقتضيه طبعِ الاستعمالِ عدمُ ملكةِ وَ مثلِ "افعل" وَ أشباهِ المختصَّةِ بالإنشاءِ عرفاً يتقابلان بـتقابلِ الإيجابِ وَ السلبِ (وجوهاً وعدماً) إذ المفروضُ أنَّ البعثَ الملحوظَ نسبةً بينَ أطرافها نظيرُ البعثِ الخارجيِّ غيرُ البعثِ الملحوظِ بعنوانِ المادِيَّةِ في سائرِ الاستعمالاتِ كما سمعتُ مـنـا في أوائلِ التعليقةِ فـمضمونُ صيغةِ اضرـبـ مثلـاً غيرـ قـابلـ لأنـ يـحـكـيـ بهـ عنـ ثـبوـتـ شيءٍ في موطنِه بل مـتمـحـضـ فيـ الإـنـشـائـيـةـ وـ دـعـمـ الـحـكـاـيـةـ حـيـنـذـ مـنـ بـابـ السـلـبـ المـقـابـلـ لـلـإـيجـابـ.

2. وَ ممَّا ذكرنا ظهرَ أنَّ إبداءَ الفرقِ بينهما (من جانبِ الآخوندِ في فوائده) بـأنَّ مفادِ الإنشاءِ يوجدُ وَ يَحدُثُ بعدَ أنَّ لم يكنَ، وَ مفادِ الإخبارِ يـحـكـيـ عـمـاـ كـانـ أـوـ يـكـونـ، غـيرـ تـامـ أـيـضاـ، فـإـنـ وجودـ المعـنىـ بـالـلـفـظـ وـ حـدوـثـ بـهـ مشـتـركـ بـيـنـ الإـنـشـاءـ وـ الإـخـبـارـ (لـأـنـ الـلـفـظـ أـوـ جـودـ الـمـعـنىـ إـنـشـائـيـ فـإـنـ الـلـفـظـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـئـاـ فـيـ الـخـارـجـ وـ لـاـ فـيـ الـذـهـنـ، وـ لـهـذاـ لـاـ يـخـتـالـ الإـنـشـاءـ عـنـ الإـخـبـارـ) وـ إنـماـ يـزـيدـ الإـخـبـارـ عـلـيـهـ (إـنـشـاءـ) الـمـوـرـدـ الـفـاقـلـ بـجـعـلـهـ حـاكـيـاـ وـ مـرـآـةـ لـثـبوـتـ المـضـمـونـ فـيـ موـطـنـهـ.

3. كما أنهُ أتضحَ منِ جميعِ ما ذكرنا أنَّ الإنشاءَ لا دخلَ له بـإيجادِ شيءٍ في النفسِ (لكي يُعدَّ كلاماً نفسياً كما زعمه الأشعريُّ) وَ إنَّ كانَ معقولاً لكنَّ إيجادَهِ (الشيءِ النفسيِّ) خارجيٌّ بنحوِ التنزيلِ وَ بالعرضِ لا بالحقيقةِ وبالذاتِ لأنَّ إيجادَهِ في النفسِ وَ إنَّ كانَ معقولاً لكنَّ إيجادَهِ باللفظِ غيرَ معقولٍ فلا يكونُ معنىً إنسانياً [1].

وَ لـبـ هذهـ التـخـريـجـاتـ هوـ أنـ الـلـفـظـ لـاـ يـخـلـقـ شـيـئـاـ لـاـ فـيـ الـذـهـنـ وـ لـاـ فـيـ الـخـارـجـ إـذـ كـانـ الـمـعـنىـ فـيـ حـاقـ الـلـفـظـ بـحـيثـ إـنـ وجودـ الـلـفـظـ عـيـنـ وجودـ الـمـعـنىـ، وـ لـهـذاـ لـيـسـ مـنـ الـضـرـوريـ أـنـ يـقـصـدـ الـمـنـشـأـ قـصـدـ الـإـيجـادـ فـيـ الـأـمـرـ الـإـنـشـائـيـ إـذـ حـقـيقـةـ الـإـنـشـاءـ هـوـ نـفـسـ الـمـعـنىـ ذاتـاـ فـالـلـفـظـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـئـاـ بلـ هـوـ نـازـلـ مـنـزلـةـ الـمـعـنىـ فـحـسـبـ، فـمـثـلاـ: الـزـوـجـيـةـ تـعـدـ مـفـادـ الصـيـغـةـ إـنـشـائـيـةـ ذاتـاـ بلاـ حاجـةـ إـلـىـ قـصـدـ الـإـيجـادـ كـماـ أـنـ الـمـخـبـرـ يـحـكـيـ عـنـ حـادـثـ بلاـ حاجـةـ إـلـىـ قـصـدـ الـإـخـبـارـ! فـإـنـشـاءـ وـ الإـخـبـارـ يـعـدـانـ عـنـصـرـاـ مـوـحـداـ وـ إنـماـ يـمـتـازـ الـإـخـبـارـ عـنـ الإـنـشـاءـ فـيـ نقطـةـ الغـرضـ فـغـرـضـ الـمـنـشـأـ قدـ تـعـلـقـ بـإـيجـادـ بـيـنـماـ غـرـضـ الـمـخـبـرـ قدـ تـعـلـقـ بـالـحـكاـيـةـ، بـيـنـماـ الـمـشـهـورـ وـ الـأـخـونـدـ قدـ

أَخْذَا وَجُودِينِ مُسْتَقَائِينِ لِلْفَظِ وَالْمَعْنَى ذَاتًا، وَقَدْ بَرَهَنَ الْمَحْقُقُ الْاصْفهَانِيُّ عَلَى بَطْلَاهِ، ثُمَّ تَصَدَّى الْمَحْقُقُ إِلَى مَقَالَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَائِرِيِّ ضَمْنَ الدَّرْرِ قَائِلًا:

وَأَمَّا تَخْيِلُ[2] أَنَّ الْكَلَامَ الْإِنْشَائِيَّ مَوْضِعُ لِإِظْهَارِ الإِرَادَةِ (فَالْإِنْشَاءُ دَائِرٌ مَدَارٌ غَرْضُ الْمُتَكَلِّمِ إِيجَادًا أَوْ حَكَايَةً) إِمَّا طَبَعًا (بِإِبْرَازِ طَبَعِيِّ) أَوْ إِيجَادًا (بِخَلْقِ الإِرَادَةِ) نَظَرًا إِلَى إِمْكَانِ إِيجَادِ الْقَصْدِ (نَفْسُ الإِرَادَةِ) لِفَائِدَةٍ فِيهِ لَا فِي الْمَقْصُودِ (الْمَطْلُوبِ) كَمَا فِي الْإِتَّامِ الْمَرْتَبِ عَلَى قَصْدِ الْإِقَامَةِ (مِنْ جَانِبِ الْمَكَافِ) حِيثُ إِنَّهُ أَثْرُ الْقَصْدِ لَا لِإِقَامَةِ عَشْرًا (الَّتِي هِيَ الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ) وَلَوْ لَمْ يَقْدِمْ، وَلَا لِإِقَامَةِ بَعْدِ الْقَصْدِ (بَيْنَمَا فِي الْإِخْبَارِ مَوْضِعُ لِإِظْهَارِ الْحَكَايَةِ). فَإِنَّهُ يَتَمُّ وَلَوْ لَمْ يَقْمِ بَعْدِهِ، وَحِينَئِذٍ 1. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ فِي النَّفْسِ إِرَادَةُ الْلَّفْظِ وَإِظْهَارُ الْلَّفْظِ كَمَا فِي كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى فَلَيْسَ هُنَاكَ نَسْبَةٌ إِنْشَائِيَّةٌ (إِذْ لَمْ يُقْصِدْ الْإِنْشَاءِ) 2. وَإِنْ كَانَ (اللَّفْظُ) نَفْسُ إِظْهَارِ الإِرَادَةِ مَعْنَاهُ (كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ عَبَارَتُهُ) فَالْهِيَّةُ حِينَئِذٍ وَجُودُ لَفْظِي لِمَفْهُومِ إِظْهَارِ الإِرَادَةِ وَلَوْ فَانِيَّا فِي مَعْنَوْنِهِ، وَهُوَ لَيْسَ مَعْنَى يَصْحُحُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ (اللَّفْظُ الْإِنْشَائِيُّ) إِلَى إِرَادَةِ النَّسْبَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ (فَلَيْسَ الْلَّفْظُ لِمَجْرِدِ إِظْهَارِ الإِرَادَةِ) وَكُونُ هَذِهِ الْهِيَّةِ كَاشِفَةً عَنِ إِرَادَةِ جَدِيدَةِ حَتَّمِيَّةٍ وَضَعَّاً أَوْ اِنْصَارَافًا وَإِطْلَاقًا، (فَهَذَا) مَعْنَى آخَرُ لَا دَخْلُ لَهُ بِمَدْلُولِ الْلَّفْظِ اسْتَعْمَالًا، وَأَمَّا إِيجَادُ الْقَصْدِ لِفَائِدَةٍ فِيهِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ بِعْضُ الْوَجُوهِ مُمْكِنًا لَكَنَّهُ لَا بِهَذَا النَّحْوِ (إِذْ لَا يُنْشَأُ شَيْئًا) وَالْمَثَالُ الْمُزَبُورُ لَا يَجْدِي فِي تَصْحِيحِهِ لَأَنَّ الْإِقَامَةَ الْقَصْدِيَّةَ أَيِّ الْمَقْوَمَةِ لِتَقْتَصِدُ إِلَيْهَا أَيْضًا لِفَائِدَةٍ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بَهَا بِحِيثُ لَوْلَاهَا لَمَّا وَجَبَ الْإِتَّامُ وَفَنَاءُ الْمَقْصُودِ فِي الْإِقَامَةِ الْخَارِجِيَّةِ أَيْضًا لَازِمٌ وَإِلَّا أَمْكَنَ إِيجَادُ الْقَصْدِ مَعَ الْعِلْمِ بَعْدِ الْإِقَامَةِ خَارِجًا.[3]

[1] نهاية الدراسة في شرح الكفاية (طبع قديم)، ج 1، ص: 192

[2] القائل بهذا التخيّل هو الشيخ عبد الكريم الحائرى ضمن الدرر.

[3] نهاية الدراسة في شرح الكفاية (طبع قديم)، ج 1، ص: 193